

الاحتلال الإسرائيلي لمرتفعات الجولان:

الأهداف و النتائج

الدكتور فاتح شيباني

كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية / جامعة الجزائر3

مقدمة :

تم احتلال مرتفعات الجولان في حرب جوان 1967 مع كل من سيناء والضفة الغربية و قطاع غزة و القدس الشرقية فيما أطلق عليه آنذاك بالنكسة العربية و قد كان لإسرائيل أهداف إستراتيجية لاحتلالها كل هذه الأراضي في غضون أيام معدودة و على الرغم من إصدار مجلس الأمن لقراره رقم 242 القاضي بالانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي التي احتلتها و العودة إلى حدود ما قبل الحرب إلا أن إسرائيل تعنتت و لم تنسحب من أي شبر احتلته خلال هذه الحرب بالرغم أن القرار كان ملزماً لها لأنه صدر عن مجلس الأمن و من بين تلك الأراضي المحتلة و التي رفضت إسرائيل الانسحاب منها كما ذكرنا مرتفعات الجولان السورية بل أقدمت إسرائيل على ضمها نهائياً إلى أراضيها و أكدت على بقاءها تابعة لإسرائيل إلى الأبد متحدية المجتمع الدولي بكامله مما يدفع بالتساؤل حول الأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة لإسرائيل و عن الأهداف الحقيقية للتمسك بها و كذا التساؤل عن الآثار التي خلفها و لا يزال الاحتلال الإسرائيلي على المنطقة و شعبها العربي السوري و هذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عليه.

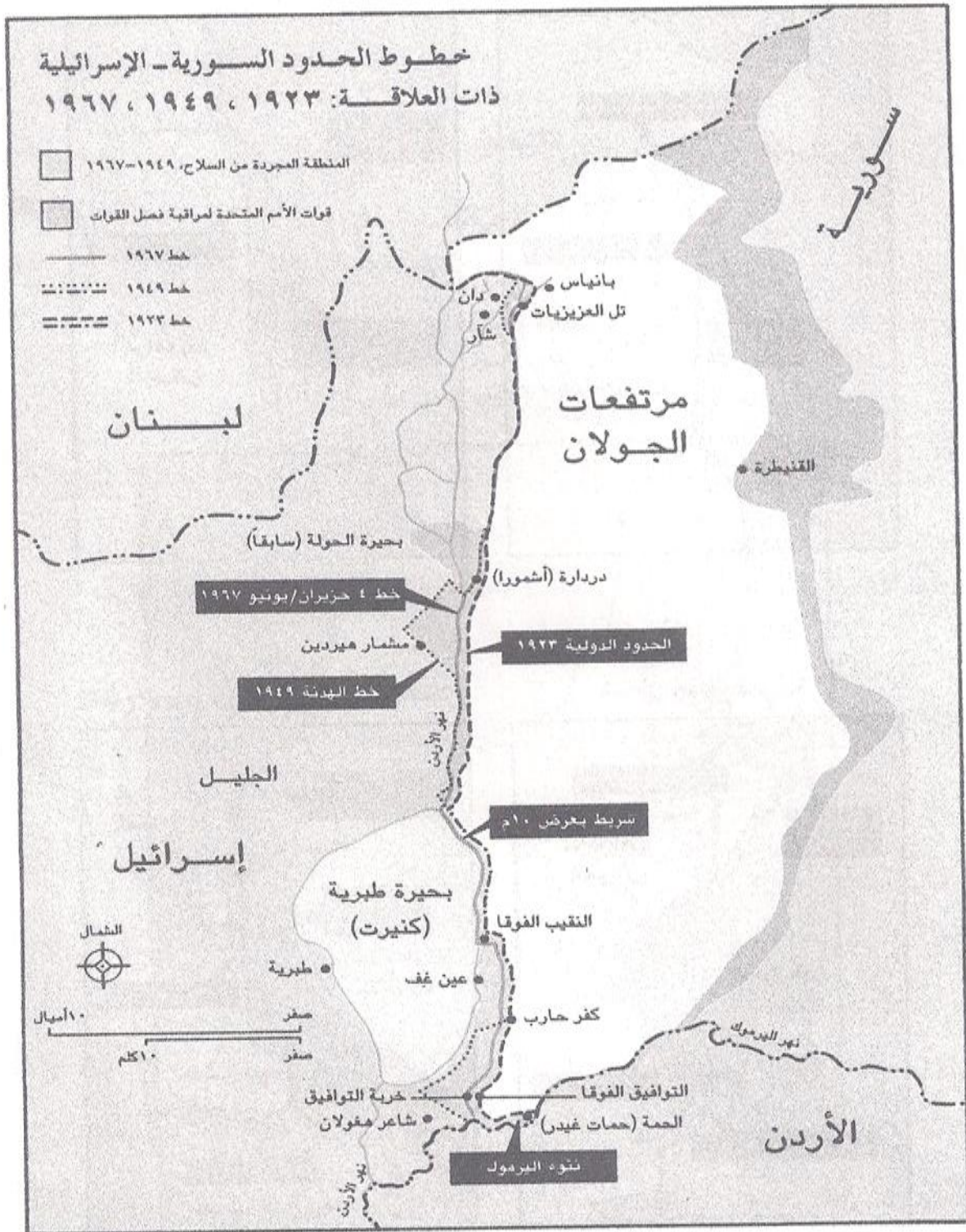
أولاً : مخلفات الاحتلال على السكان الأصليين السوريين :

قبل احتلال أرض الجولان في جوان 1967 كان يقيم بها نحو 153 ألف عربي سوري من بينهم زهاء 18 ألف فلسطيني من لاجئي حرب 1948 يعيشون في 139 قرية وفي 61 مزرعة ، وكان من نتيجة الاحتلال نزوح حوالي 136 ألف عربي (*) ، يعيشون في دمشق ودرعا وضواحيهما ، أما الذين بقوا ونظرا لمعدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة ازداد عددهم مؤخراً إلى حوالي 18 ألف نسمة مما أقلق الحكومات الإسرائيلية التي ترى أن العامل الديموغرافي بمثابة قنبلة المستقبل ⁽¹⁾ . فمنذ الاحتلال و إسرائيل تتعدى على السكان محاولة محو مقومات هذا الشعب العربي ، و قد تصاعد العدوان الإسرائيلي على سكان المنطقة بعد قرار الضم سنة 1981

و قد نتج عن احتلال إسرائيل للهضبة الجولان تشريد معظم سكانه البالغ عددهم حوالي 153 ألف مواطن عربي سوري ، و تدمير معظم مدنه و قرأه التي تحمل طابعها العمراني

الخصوصية العربية، و لم يبق من هذه الشريحة سوى سبعة آلاف نسمة مما يعني أن الأغلبية قد تم تهجيرها قسرا من المنطقة، و هم يسكنون الآن في قرى تقع شمال الجولان⁽²⁾.
ثانيا : الأهداف الإستراتيجية للاحتلال و تبعاتها على الأمن القومي السوري
تكتسب هضبة الجولان التي تحتلها إسرائيل أهمية إستراتيجية للطرفين الإسرائيلي و السوري و يرجع ذلك لموقعها الجغرافي و إلى الكميات الهائلة من المياه المتواجدة بها و إلى تحكمها في الطرق المؤدية إلى دمشق .
ولهذا سارعت إسرائيل إلى إدخال عناصر معادية في جغرافية الجولان ، كما عسكرت في الجولان وحدات كبيرة مزودة بأعتى وأحدث الأسلحة ، وفي غياب حواجز طبيعية بينها وبين إسرائيل ووقوف الجيش الإسرائيلي على بعد 35 كلم فقط من دمشق « يعتقد القادة العسكريون السوريون أن وضع البلد الإسرائيلي مسألة فيها شك في أحسن الأحوال . أما كون ميزان القوى العام يميل إلى مصلحة إسرائيل بصورة ساحقة، فأمر يجعل العسكريين السوريين خاصة متوترين »⁽³⁾.

- (1) غسان الشهابي : الاستيطان الصهيوني في الجولان ، مجلة صامد الاقتصادي ، الأردن – عمان : دار الكرمل للنشر والتوزيع ، العدد 90 ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر 1992 ، ص 200.
(2) رائق سليمان شعلان : مقاومة سكان الجولان للإجراءات (الإسرائيلية) الماسة بهويتهم السياسية، مجلة جامعة دمشق عدد خاص (الجولان) ، سوريا-دمشق: جامعة دمشق، 2013، ص 92.
(3) محمد مصلح : الجولان ، الطريق إلى الاحتلال ، لبنان – بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط 1 ، مارس 2000 ص 79 نقلا عن مصطفى طلاس وآخرون : حرب الخليج ، غزو الكويت وتحريرها ، سوريا – دمشق : مركز الدراسات العسكرية 1992 ، ص ص 133-155.



المصدر: محمد مصلح ، مرجع سبق ذكره ، ص 136.

وفي رأي سوريا « أن الشرق الأوسط يتكون من طبقتين ، تملك فيه إسرائيل ترسانة نووية من 200 قطعة سلاح على الأقل ، مع أجهزة إطلاق متطورة ، بينما سوريا والدول العربية الأخرى لا تملك شيئاً من هذا ، ينطوي على احتمال كارثي بالنسبة إلى أمن سوريا»⁽¹⁾ خاصة وأن هذا الاحتلال أدى إلى إشراف إسرائيلي على مناطق واسعة من الأراضي السورية حتى دمشق العاصمة ، وبهذا استطاع الإسرائيليون تحقيق انفراج أمني وعسكري كبير بعد تحرر مستوطنو الخليل وسهل مرج ابن عامل ، ومنطقة الحولة من الخوف من أي قصف عسكري يأتي من المعسكرات السورية المرابطة في الجولان ، وبعد تنصيب أجهزة إلكترونية جدّ متطورة تستخدم للتنصت على مختلف التحركات السورية.

ثالثاً : الأثر الاقتصادي

يتعلق هذا الأثر أساساً بموضوع المياه ، فمنطقة الجولان بها كميات كبيرة من المياه وإذا ما استطاعت سوريا استعادة الجولان فإن ذلك سيساعدها في الدفاع عن مصالحها بصورة أفضل في ما يخص القضايا المتعلقة بالدول المشاطئة لحوض الأردن – اليرموك ، علماً أن المنطقة بشكل عام تعاني من أزمة المياه وأن جميع الدراسات الإستشرافية تؤكد أن محور الصراع في المنطقة يركز بالدرجة الأولى على مشكلة المياه ، وأبرز معالمه هو التوتر وعدم الثقة بين سوريا وتركيا في شأن نهر الفرات⁽²⁾.

رابعاً : إقامة المستوطنات

شرعت الحكومة الإسرائيلية بعد الاحتلال مباشرة ، بعملية مسح شاملة ومكثفة لأراضي الجولان وتربيتها ومواردها المائية ، وأسندت مهمة المسح إلى دائرة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية ، ووزارة الزراعة ، وشركة تخطيط المياه ، والصندوق القومي ، استندت هذه الجهات في عملية المسح على السجلات السورية التي تم الاستيلاء عليها من القنيطرة بعد الحرب .

(1) ، (2) المرجع نفسه ، ص ص 79-80.

وأكدت الدراسة على أن الزراعة ستكون القاعدة الأساسية لمراحل الاستيطان الأولى كونها وسيلة مهمة للسيطرة على الأرض. وأن بؤادر الصناعة قائمة في عدد من المستوطنات للتوسيع والتصنيع بعد استغلال الموارد الزراعية ، كما قسمت هذه الدراسة منطقة الجولان إلى أربع وحدات جغرافية استيطانية :

- 1- **سفوح جبل الشيخ شمال الجولان :** عملت دائرة الاستيطان في هذه الوحدة الجغرافية على استصلاح الأراضي في هذه المنطقة واستثمرت فيها حوالي 14 ألف دونم (*) ، كما أقامت مزارع لتربية الحيوانات ، وغرس الخضروات وأشجار الفواكه ، وبدأ العمل في تطوير المنطقة بالمشاريع السياحية.
 - 2- **وسط الجولان :** تعتبر هذه الوحدة الجغرافية وعرة ، وجدت دائرة الاستيطان صعوبة كبيرة في بناء مستوطنات فيها ، فحولتها إلى منطقة عسكرية ودفاعية.
 - 3- **جنوب الجولان :** منطقة منخفضة يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين 300 و 400 متر رسمت الحكومة الإسرائيلية خطط وبرامج لجر المياه من بحيرة طبريا إلى المنطقة لاستغلالها في الزراعة وتربية المواشي والأسماء.
 - 4- **منخفضات الجولان :** تمتد هذه المنطقة من ساحل بحيرة طبريا إلى اليرموك ، بلغت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في هذه المنطقة حوالي 12 ألف دونم ، ركزت الحكومات الإسرائيلية على غراسة الأشجار المثمرة وتشبيد مراكز سياحية بها⁽¹⁾ .
- وبعد أشهر قليلة من احتلال الجولان أقامت إسرائيل أول مستعمرة عسكرية على مرتفعات الجولان، بعدما بدأ الإعلام الإسرائيلي يخرج تصريحات مسؤولي الحكومة الإسرائيلية والتي تصب في الشروع في إقامة عدد من المستوطنات.

(1) غسان الشيهابي : مرجع سبق ذكره ، ص 201.

(*) الدونم : وحدة لقياس المساحة استعملت في الإمبراطورية العثمانية ، تستعمل هذه الوحدة اليوم في الدول التي كانت تابعة للإمبراطورية ، ولكن مساحة هذه الوحدة تختلف من مكان إلى آخر فمثلا :

- في شمال قبرص : الدونم يعادل 1337,8 م².

- في العراق : الدونم يعادل 2500 م².

- في بلاد الشام (سوريا ، الأردن ، فلسطين ، لبنان) الدونم يعادل 1000 م². وهي الوحدة المقصودة في الدراسة (المرجع : الدونم : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة . www.wikipedia.org)

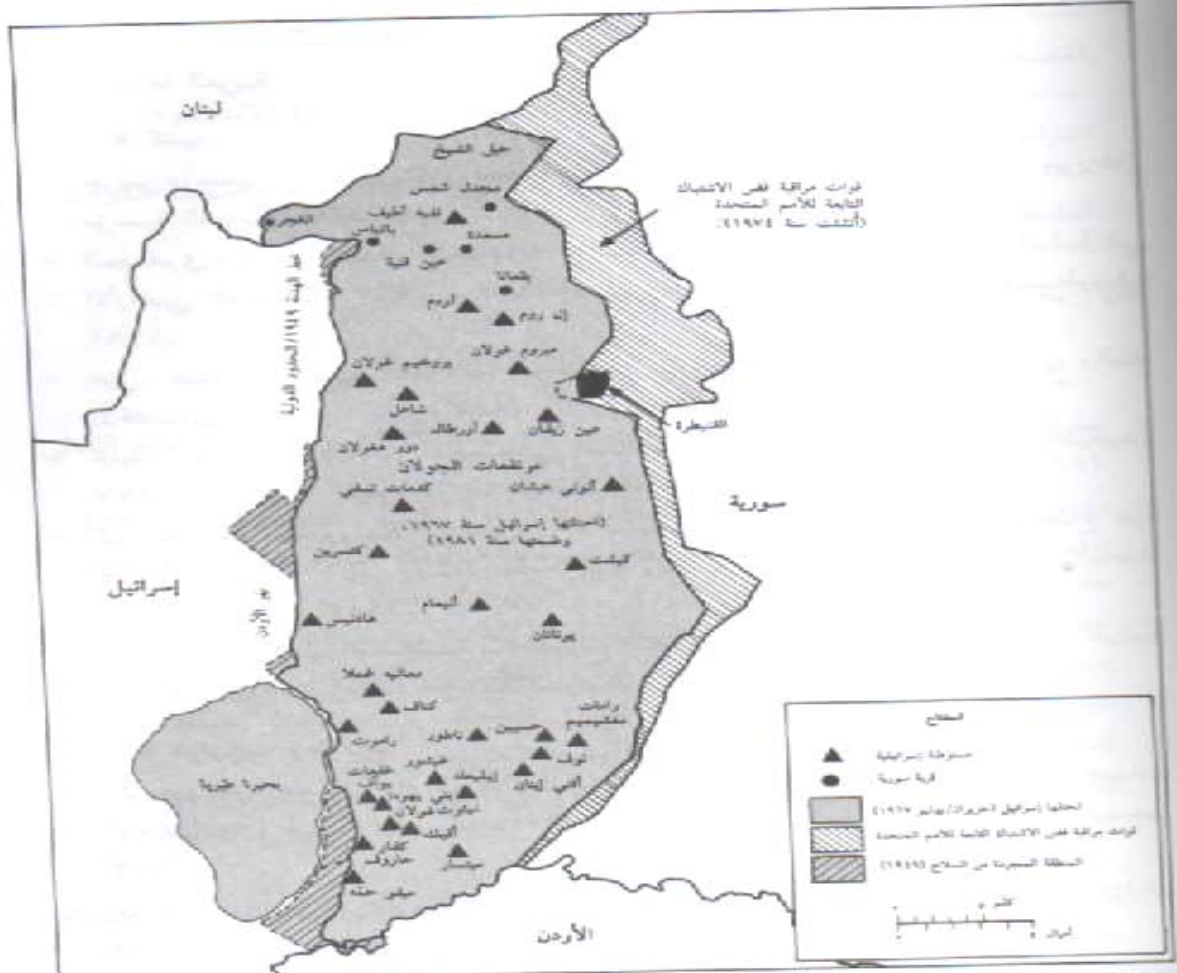
والجدول التالي يوضح المستوطنات التي أنشأتها الحكومة الإسرائيلية في أقل من سنة لاحتلالها الجولان.

اسم المستوطنة	موقعها	نوعها	الحركة التي أنشأتها	تاريخ إنشائها	تاريخ تحويلها إلى مستوطنة دائمة	مساحة الأراضي المخصصة لها	القاعدة الاقتصادية فيها
سنير	شمال الهضبة قرب بانياس وقرب خط الهدنة	كيبوتس(*)	مبام	1967	1967	2000 دونم للزراعة ، 120 ألف دونم للمواشي	الزراعة وتربية المواشي + معمل لأدوات التدفئة
مروم هجولان	شمال وسط الجولان	كيبوتس	كتلة أهدوت هعقود في حزب العمل	1967	1972	4500 دونم	الزراعة ، بها مقلع للحجارة
أفيك	جنوب الجولان قرب قرية فيق العربية	كيبوتس	إتحاد الكيبوتسات	1967	1972	4500 دونم	الزراعة
كفار حرون	جنوب الجولان قرب قرية فيق العربية	كيبوتس	إتحاد الكيبوتسات	1968	1974	2800 دونم	الزراعة ، بها مصنع للأدوات الإلكترونية
نفي أطياف	شمال الهضبة قرب بانياس وقرب خط الهدنة	موشاف شيتوفي	حزب الأحرار المستقلين	1968	1971	300 دونم	السياحة وبعض الزراعة
عين زيوان	شمال وسط الهضبة	كيبوتس	كتلة أهدوت هعقود حزب العمل	1968	1972	5000 دونم	الزراعة ، بها مصنع للأحذية
رامات مجشيم	جنوب وسط الجولان	موشاف(**)	هيو عيل ، همزراحي	1968	1972	4500 دونم	الزراعة والدواجن بها مدرسة دينية
اليعداد	جنوب الهضبة على أرض قرية العال العربية	موشاف	حركة الموشافات	1968	1972	4500 دونم	الزراعة
جيشور	جنوب الجولان	كيبوتس	مبام	1968	1976	800 دونم	الزراعة ، تربية الدواجن والأبقار - مصنع للأدوات الكهربائية
نوت جولان	جنوب الجولان	موشاف شيتوفي	العامل الصهيوني	1968	/	4500 دونم	الزراعة

(*) كيبوتس : كلمة بالعبرية وتعني تجمع سكاني تعاوني يضم جماعة من المزارعين أو العمال الذين يعيشون ويعملون سوياً و يبلغ عددهم ما بين 40 و 1500 عضو (المرجع : كميل منصور وآخرون : إسرائيل دليل عام 2004 : مرجع سبق ذكره ص 613)

(**) موشاف : تجمع استيطاني يأخذ شكلاً تعاونياً وهو على نوعين :
- الموشاف التشاركي (شيتوفي) : مستعمرة تعاونية نشاطها الأساسي الزراعة ، وتشكل أرض هذا الموشاف وحدة اقتصادية كبيرة غير قابلة للتقسيم الفردي ، فالإنتاج جماعي والملكية جماعية.

المستوطنات الإسرائيلية
في مرتفعات الجولان



المصدر : كميل منصور وآخرون : إسرائيل دليل عام 2004 : مرجع سبق ذكره ، ص 641.

- (1) نجيب الأحمد : دولة الاحتلال الصهيوني ، سياستها التوسعية العنصرية في الأراضي العربية المحتلة ، لبنان - بيروت : الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية 1980 ، ص ص 81-82.
- (2) محمد مصلح : مرجع سبق ذكره ، ص 78

الخاتمة :

من خلال ماتم التطرق إليه يتضح جليا أن التمسك الإسرائيلي بمرتفعات الجولان يرجع لعدة أسباب و أهداف ، حيث تعتبر الجولان بمثابة الضامن لاستمرار إسرائيل في الوجود كدولة تقع جغرافيا بين دول كانت ترفض وجودها منذ قرار التقسيم ، و دخلت جميعها في حرب 1948، و لهذا سعت إلى تغيير البنية السكانية للهضبة و طرد أكبر قدر ممكن من سكانها بجميع الوسائل ، و من جهة أخرى العمل على جلب أكبر قدر ممكن من اليهود للتوطين فيها عبر التكتيف في بناء المستوطنات و التي أصبحت تنخر أرض الجولان .

و في مقابل هذا ، كانت للفقدان السوري للجولان عدة نتائج و خيمة على الشعب السوري و على الدولة السورية من تهجير للسكان الأصليين و من تهديد للأمن القومي السوري خاصة من الناحية الجيو إستراتيجية .

قائمة المراجع :

- 1- مصلح محمد : الجولان ، الطريق إلى الاحتلال ، لبنان - بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط¹ ، مارس 2000 .
- 2- منصور كميل وآخرون : إسرائيل دليل عام 2004 ، لبنان - بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط¹ ، ماي 2004 .
- 3- نجيب الأحمد : دولة الاحتلال الصهيوني ، سياستها التوسعية العنصرية في الأراضي العربية المحتلة ، لبنان - بيروت : الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية 1980
- 4- رائق سليمان شعلان : مقاومة سكان الجولان للإجراءات (الإسرائيلية) الماسة بهويتهم السياسية، مجلة جامعة دمشق عدد خاص (الجولان) ، سوريا-دمشق: جامعة دمشق، 2013
- 5- غسان الشهابي : الاستيطان الصهيوني في الجولان ، مجلة صامد الاقتصادي ، الأردن - عمان : دار الكرمل للنشر والتوزيع ، العدد 90 ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر 1992
- 6- ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة www.wikipedia.org